مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (٥)، العدد (١)، ص ص ٢٨١-٣١٥، (محرم ١٤٣٣هـ ./ نوفمبر ٢٠١١)

المشافهة في النادرة

د. علي بن الحبيب عبيد
أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية وآدابه
كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، جامعة القصيم
Ali.abid0@gmail.com

(قُدم للنشر في ١٤٣٢/٤/٢٤هـ ،، وقبل للنشر في ١٤٣٢/٧/١١هـ .)

ملخص البحث. تستأثر المشافهة بنصيب من الاهتمام وافر في الحضارة العربية بحكم كون هذه الحضارة حضارة شفويّة أساسا. ولعلّ سمة الشفويّة أن تكون في أدبها القصصي أبْين. ولذلك اخترناها مدخلا إلى دراسة النادرة. ويُعزى اختيارُنا دراسة النادرة لا إلى كونها جنسا أدبيّا قديما لم يحظ من الدّارسين بالعناية المرجوّة فحسب وإنّما يُردّ أيضا إلى رغبتنا في التثبت من صحّة الرأي القائل إنّ النادرة "بنت الشفة" وإنّها من أكثر الأجناس الأدبيّة النثرية شفويّةً.

وقد تضمّن بحثنا أربعة أقسام وخاتمة. ففي القسم الأوّل وهو بعنوان "مداخل" تعرضنا لمسألة المشافهة والتدوين وعرّفنا النادرة. وفي القسم الثاني تناولنا خصائص المشافهة في مستوى الحكاية وتدبّرنا، في القسم الثالث، خصائصها في مستوى الخطاب. وأمّا في القسم الرابع والأخير فنظرنا في علاقة النادرة بالتدوين.

وقد تبيّن لنا أنّ للنادرة في مستوى الحكاية بنية بسيطة وأنّها قصّة أقوال أساسا شخصياتها نمطية مرجعية وغالبا ما تدور أحداثها الوجيزة في المدينة. وهي تنهض على البديهة والارتجال والسماع. وتعتمد على إيجاز اللفظ وكثافة المعنى وتتوسّل بالعبارة السهلة والتواصل الواضح. وهي لا تقتصر في أدائها على مضمون القول وإنّما تتعدّاه إلى الجرس الصوتي الذي يتحقّق مع اللّحن وينتفي مع الإعراب. وترد في الأغلب الأعمّ عارية عن الإسناد لأنّها لا تستهدف الصّدق بقدر ما تبتغي إيقاع المتندّر له في حبائل الوهم والغرابة. على أنّها تقتضي التمثيل والمشاهدة. فهي عرض "مسرحي" متكامل يعسر نقله بالقلم واللسان ولا يُدرك إلاّ بالعيان. فللحركة والهيئة والإشارة والموقف شأنٌ إنْ في نقل النادرة وإنْ في التواصل الإنساني.

ورغم حرصنا على استصفاء أثر المشافهة في النادرة انطلاقا من نصّ مدوّن فإنّ منظورنا بقي خاضعا لآليات كتابيّة وإنّ الصعوبة لتزداد في رأينا لا سيما إن تعلّق الأمر بمسألة فنية محض من قبيل خصائص الشفاهية.

أولاً: مداخل

١- في مسألة المشافهة والتدوين

ما فتئت المشافهة تشغل بال الباحثين في حقول معرفية عديدة[١] رغم ما حقّقته الكتابة من تطوّر. وقد يُعزى ذلك إلى أسباب منها ما أثبته اللّسانيون ابتداءً من "فردينان دي سوسير" أنّ اللغة ظاهرة شفويّة: مسموعة محكيّة أساسا[٢]، فالصوت فيها هو الأصلُ، أي إنّها أصوات تُسمع قبل أن تكون حروفا تُقرأ[٣]، ومنها أيضا ما أكّده مُحلّلو الخطاب حين اعتبروا أنّ الخطاب حدثٌ تواصلي يقوم على المحادثة شفويّا[٤] وأنّ البحث فيه لا يعدو أن يكون بحثا في البعد الصوتي الشفوي وفي مسألة التواصل والتّخاطب[٥].

والمشافهة أداة تخاطب في مرحلة من مراحل المجتمع البشري، ووسيلة حفاظ على أنشطة الإنسان الثقافية بنقلها من جيل إلى جيل. وهي، في الحقيقة، لم تدرك هذا الشّأو من العناية في البحوث الحديثة إلاّ عندما تمّ النظر إليها من حيث علاقتُها بالتدوين

---

(١) من هذه الحقول المعرفيّة التاريخ وعلم الاجتماع والأنتروبولوجيا وعلم النفس والفلسفة والأدب واللسانيات والسرديات وغيرها.

(٢) فردينان دي سوسير، دروس في الألسنية العامّة، تعريب صالح القرمادي، محمد الشاوش، محمد عجينة، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٥،[يقول:"للغة صورة شفوية مستقلة عن الكتابة وكثر منها ثباتا بكثير ولكن تعظيم الناس للصورة المكتوبة يمنعهم من تبيّن ذلك " ص ٥٠ وانظر: ص.ص٥٨ -٥٩].

(٣) انظر: والتر ج. أونج، الشفاهيّة والكتابيّة، ترجمة حسن البنّا عزالدين، مراجعة محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد:١٨٢، فيفري١٩٩٤، ص. ص٥١ - ٥٢.

(٤) Levinson S.C: Pragmatics. Cambridge: Cambridge University Press, 1993, p286.

(٥) Fairclough, N: Discourse and social change, (1Ed), Cambridge: Polity- Press, 1992, p16.

حتّى إنّها لا تكاد تُذكر إلاّ والطرف الثاني من هذا الزّوج ماثل في الأذهان.(٦) ولا غرو فالدّارس جرّاء، صلة المشافهة بالتدوين، يُلفي نفسه أمام صعوبة تحديد المفهوم وفكّ الارتباط القائم بينه وبين مفهوم الكتابة. ويترتّب على ذلك مثلما أشار إليه "أونج" (Walter J. ONG): " أنّه لمن المستعصي علينا بما أننا "كِتَابِيُّون" أن نفهم عالما شفاهيّ التواصل أو شفاهي الفكر، اللهمّ إلاّ بوصفه صورة أخرى من عالم كتابي"(٧). فتصوّر الشفاهيّة انطلاقا من التدوين يجعل فهمنا ملتبسا بالكتابي، دائرا في فلكه، وليس بقادر على استجلاء ماهيته(٨).

وإذ كانت المشافهة تُحَدّ اصطلاحًا بانتقال معارف ومكتسبات بشريّة عبر الرواية الشفويّة٩ فإنّها تعني لغةً المخاطبة من فيك إلى فيه. فشافهه: أدنى شفته من شفته وكلّمه

---

(٦) نور الهدى باديس النويري، بلاغة المنطوق وبلاغة المكتوب: دراسة في تحوّل الخطاب البلاغي من القرن الثالث هـ. إلى القرن الخامس هـ.، أطروحة لنيل الدكتوراه، إشراف الأستاذ حمادي صمود، جامعة منوبة، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، السنة الجامعيّة ٢٠٠١ -٢٠٠٢، (مخطوط)، ص١٣.

(٧) والتر ج. أونج، الشفاهيّة والكتابيّة، مرجع مذكور، ص ٤٩.

(٨) فما يُدوّن على الصفحة المطبوعة يصبح الأصل في نظرنا، وبالتالي، فكلّ ما نروم الحصول عليه إنّما نستمدّه من المكتوب. ولهذا تأثيره الفعّال في تصوّرنا للمنطوق. انظر تفصيله لدى:

نور الهدى باديس النويري، بلاغة المنطوق وبلاغة المكتوب، مرجع مذكور، ص١٩.

William A. Graham: *Beyond the Written Word*, Cambridge, 1987, p.p9-10.

(٩) تجتاز الرواية الشفويّة أطوارا خمسة: هي الإنتاج، والنقل، والتلقّي، فالحفظ، والترديد. ولا تعدّ شفاهية خالصة إلا عندما تقطع الأطوار الثلاثة الأولى عبر قناتيْ الصوت والسمع، وعندما يتحقّق الحفظ لا بالنصّ المدوّن فحسب وإنّما بالذّاكرة أيضا. انظر تفصيله لدى:

Paul Zumthor: *Introduction à la poésie orale*,op. Cit. p.p32-36.–

مُشافهة(١٠). فهذا التعريف اللّغوي يتضمّن قناتيْن اثنتين بفضلهما يتمّ التواصل وهما التصويت والسماع.

على أنّ مواقف الدارسين حيال ثنائية المنطوق والمكتوب قد تضاربت، فوقعت في المفاضلة، منتصرة إلى طرف دون طرف. ولّما كانت الكتابة قد حظيت من لدن الأغلبيّة بنيويين(١١)كانوا وأنتربولوجيين بالاحترام والتقديس فإنّ الدّاعمين للمشافهة لا يعدمون شهرة وكثرة أيضا. حسْبنا "سقراط" و"أفلاطون" و"روسّو" و"دي سوسير" و"جونات"(١٢). فقد مالوا جميعا إلى المنطوق، وحججُهم أنّ الشفاهيّة هي الأصلُ والأصدق، والأكثر إنسانية وعفويّة، وهي الأقدر على الإيفاء بالمطلوب وإبلاغ المقصود، في حين أنّ الكتابة قاصرة على الأداء، وهي ليست سوى صورة من الشفاهية. ومن عيوبها ما أورده أفلاطون على لسان سقراط في مؤلّفه "فيدروس" أنّها تضعف الذاكرة، وتقتصر على تقديم نصّ صامت غير مسموع، وتجعل المعرفة مبذولة لأهلها وغير أهلها، وتحصر مسؤولية الكاتب في الكتابة لأنّه يكون غائبا ساعة القراءة فيضيع الكثير ممّا قصد إليه ويغدو عمله أشبه باللعبة(١٣).

ولا مراء، فمبدأ المفاضلة بين الشفاهيّة والكتابة هذا يعكس انطباعا ذاتيا وأحكاما معيارية تفتقر في الأغلب الأعمّ إلى الموضوعية. لذلك انبرى بعض الباحثين

---

(١٠) جلال الدين أبو الفضل ابن منظور، لسان العرب، دار لسان العرب بيروت، المجلّد٢، مـ ـادة (شـ فه)، ص٣٣٧.

(١١) من أبرزهم عالم الإناسة "كلود لوفي شتراوس"(Claude Lévis – Strauss).

(١٢) انظر تفصيله لدى: نور الهدى باديس النويري، بلاغة المنطوق وبلاغة المكتوب، مرجع مذكور، ص.ص ٢٢ . ٤٤.

(١٣) انظر تفصيله لدى:

. هايتر شلافر، في العلاقة بين الشفوي والمكتوب، مجلّة فكر وفن، ع٤٦ سنة١٩٨٨، ص٦٤.

. والتر ج. أونج، الشفاهيّة والكتابيّة، مرجع مذكور، ص.ص١٥٨ .١٥٩.

من قبيل "جاك قودي" (Jack Goody) و"أونج" و"زومتور" و"جاك بودي" (Jacques Body) و" أرلات شومان" (Arlette Chemin) يُصالح بين الآراء المتضاربة مؤكّدا أنّ العلاقة بين المنطوق والمكتوب ليست علاقة صراع وإقصاء بقدر ما هي علاقة تفاعل وتكامل. ولكي يُجسّر الفجوة بين المشافهة والتدوين طفق بعضهم يبحث في المكتوب عمّا يتوفّر فيه من جمالية المنطوق، فارتأى أنّ المدوّن غالبا ما يُقرأ بصوت عال شأنه شأن تلاوة النصوص المقدّسة وإلقاء الأشعار. وتبعا لذلك، غدت المقارنة لا بين مكتوب وشفوي بل بين صوت مُرتفع وصوت مُنخفض، أي بين صوت خارجي وصوت داخلي، فقراءة المكتوب بصوت عالٍ تحوّله إلى منطوق والتمثّل الصامت للشفوي يحوّله إلى مكتوب، بل إنّ الفرق بينهما إنّما يكمن في طبيعة تناول الإنسان لهما ووجهة تعامله معهما[١٤]. ولولا ضيق المقام وخشية الخروج عمّا ننوي تركيز النظر فيه لأتينا على بعض ما ذهب إليه الباحثون الآخرون من آراء تستهدف المصالحة[١٥].

وتكتسي المشافهة أهميّةً قصوى بالنسبة إلى الحضارة العربية بحكم كونها حضارة شفويّة أساسا[١٦]ولعلّ سمة الشفويّة أن تكون في أدبها القصصي أبْين. لذلك اخترنا هذه المسألةَ مدخلا إلى دراسة النادرة. ويُردّ اختيارُنا دراسة النادرة لا إلى كونها جنسا أدبيّا

---

(١٤) نور الهدى باديس النويري، بلاغة المنطوق وبلاغة المكتوب، مرجع مذكور، ص٣٣.

(١٥) انظر تفصيله في الدّراسات التاليّة:

– نور الهدى باديس النويري، بلاغة المنطوق وبلاغة المكتوب، مرجع مذكور، ص.ص٢٤-٤٤.

- Jack Goody: *Entre l'oralité et l'écriture*, P.U.F., 1994, p.p9-12.

-Paul Zumthor: *Introduction à la poésie orale*, op. Cit., p.p8-28.

-jacques Body: De l'oralité à l'écriture, Actes de neuvième congrès de l'association internationale de littérature comparée, Paris, 1983, p.p45-55.

-Arlette Chemin: De l'oralité à l'écriture, continuité ou rupture: l'exemple des littératures d'Afrique, in: *Graines de parole: puissance du verbe et traditions orales*, écrits pour Geneviève Calame Griaule, Paris, 1989, p.p55-68.

(١٦) انظر تفصيله لدى: ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، الباب الثالث: الرواية والسماع، دار الجيل، طبعة ١٩٨٨، ص.ص١٨٧ .٢٨٣.

قديما لم يحظ من الدّارسين بالاهتمام المرجوّ فحسب وإنّما اخترناها لأنّها خصوصا "بنت الشّفة" كالكلمة ومن أكثر الأجناس الأدبيّة النثرية شفويّةً. وإذا كان الدارسون قد أجمعوا على أنّها شفوية محض فهل هم متفقون أيضا حول معناها؟

٢- تعريف النادرة

النادرة لغةً هي ما شذّ وخرج من الجمهور[١٧]وهي اصطلاحا فنّ من فنون القصّ وجنس أدبيّ أسّسه "الجاحظ"[١٨] انطلاقا من الخبر الأدبيّ. وتُعرّف أيضا بكونها ما أضحك من قول أو فعل أو هيأة أو موقف[١٩]وبأنّها الكلام الغريب المورّى الذي يكون باطنه على غير ظاهره[٢٠]. وتُصنّف إلى نادرة ثخينة معتّمة لا يُذكر فيها اسم المتندَّر عليه، ونادرة شفّافة واضحة فيها يبوح المُنْدِر باسم المتندَّر عليه، وتصنّف أيضا حسب طبيعة التلقّي. فثمّة نادرة حارّة جدّا وأخرى باردة جدّا وثالثة فاترة[٢١]والفاترة مرذولة مردودة، وحرارة النادرة وبرودتها مشروطتان بالشخص الذي إليه تُنسب، ومن غاياتها الإمتاع والإضحاك وبعث الغرابة في نفس المتلقّي[٢٢].

---

(١٧) ابن منظور، لسان العرب، مصدر مذكور، المجلّد:٣، مادة (ندر).

(١٨) شارل بلاّ، الجد والهزل، دائرة المعارف الإسلامية،ج٢، ص٥٥٠.

(١٩) البشير المجدوب، الظرف والظرفاء بالحجاز، دار التركي للنشر، تونس،١٩٨٨، ص٨١.

(٢٠) أبو القاسم الكلاعي، أحكام صنعة الكلام، تحقيق محمد رضوان داية، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٦، ص٩٥.

(٢١) الجاحظ، البخلاء، تحقيق علي الجارم وأحمد العوامري، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٨٨جزء١، ص٣١.

(٢٢) علي عبيد، مادة(نادرة)، ضمن: معجم السرديات(مؤلّف جماعي)، تونس، دار محمد علي الحامي والرابطة الدولية للنّاشرين المستقلّين، ٢٠١٠، ص٤٤٩ - ٤٥٢.

ومدوّنة النادرة مترامية الأطراف، لا تُحصى ولا تُعدّ. وأمام هذه الكثرة فإنّنا اقتصرنا منها على ما تضمّنه "البخلاء"[٢٣] و"البيان والتبيين"[٢٤] و"الرسائل"[٢٥] للجاحظ و"الأغاني" للأصبهاني[٢٦]وكتاب "جمع الجواهر في الملح والنوادر" للحصري[٢٧].

وقد آثرنا دراسة أثر المشافهة في النادرة مُستندين إلى منهج تحليل الخطاب السردي ذلك أنّ هذا الضّرب من التحليل، إنّما يتعامل مع القَصَص من حيث كونُه خطابا شفويّا أكثر منه نصّا مكتوبا[٢٨]بهدف إثبات آنية تلفّظه[٢٩].

وليس أدلّ على ارتكاز النادرة على السماع من قول الجاحظ: " متى سمعت حفظك الله بنادرة من كلام العرب فإياك أن تحكيَها إلا مع إعرابها ومخارج حروفها...". [٣٠]، ففي ذلك حرص على أن تحافظ النادرة على طابعها الشفهي. فإنْ قدّر لها أن تدوَّن وجب أن يحتفظ لها المدوّن بعناصر تحيل على مقام المشافهة والارتجال ويوازن فيها بين إيجاز اللفظ وكثافة المعنى. هذا الكلام يبدو سهلا متى أخذته بمرأى المنظرين فإن أنت أردت استصفاء علامات الشفاهية في

---

(٢٣) نفسه.

(٢٤) الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت(د.ت)

(٢٥) الجاحظ، الرسائل، تحقيق عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٩٦٩.

(٢٦) أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، طبعة دار الكتب، بيروت،(د.ت).

(٢٧) الحصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، تحقيق محمد علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، مصر،١٩٥٣.

(٢٨) Jacques Body: De l'oralité à l'écriture, Op. Cit., p49.

(٢٩) فقد أشار "جونات" إلى أنّ:" "التحوّل" من الشفوي إلى المكتوب يكاد يأتي نهائيا على خصائص القول: من نبرة وتنغيم ولهجة إلخ(...) فليس بمقدور أي حكّاء مثلا أن يستنسخ بصرامة نبرة إحدى شخصياته. فعقد النقل الحرفي لا يخصّ دوما إلا محتوى الخطاب". انظر:

- Gérard Genette: Nouveau discours du récit, Paris, Éditions du Seuil, 1983, p34.

(٣٠) الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر مذكور، ج١، ص١٤٥.

النادرة وجدت الأمر لا يخلو من مغامرة غير محمودة العواقب. ذلك أنّ بحثا كهذا يقتضي الاشتغال بنصّ خاضع لشروط التدوين أساسا، ومن شأن هذا الإجراء أن يقود، إن لم يحسن الباحث تخيّر الطرق، إلى مزيد حجب تلك العلامات بل تحريفها وطمسها.

على أنّ هذه الصعوبة لم تحل دون تدبّرنا خصائص المشافهة في النادرة وفق مستويين اثنين هما مستوى الحكاية ومستوى الخطاب.

ثانياً: خصائص المشافهة في مستوى الحكاية

يُحَدّ مستوى الحكاية سرديّا بمجموع أحداث تقع في زمان ومكان مُحدّديْن وتضطلع بها شخصياتٌ. فهو مفهوم مُجرّد لا يُوجد في الواقع.[٣١] وإنّ بحثنا فيه سيرتكز على تتبّع خصائص المشافهة في الأعمال أوّلا.

١- خصائص المشافهة في الأعمال

أغلب النوادر ذاتُ بنية بسيطة. ولعلّ بساطتها تلك ناجمة عن قلّة وظائفها السرديّة التي يكون مدارها عادة على محور دلاليّ هو المواجهة بين المُنْدر والمُنْدر له، وما تقتضيه تلكم المواجهة من أعمال قوامُها ثنائية الفعل/ وردّ الفعل أو ما يضارعها (من قبيل الرغبة/ التحقيق أو الامتحان/ النجاح أو الاستخبار/ الإخبار أو الطلب/ الاستجابة). حسبُنا شاهدا نادرةٌ بطلاها الحجّاج وأعرابي: " قال الأصمعي: خرج الحجّاج متصيداً، فوقف على أعرابي يرعى إبلاً وقد انقطع عن أصحابه، فقال: يا أعرابي، كيف سيرة أميركم الحجاج؟ فقال الأعرابي: غشوم ظلوم لا حيّاه الله ولا بيّاه. قال الحجّاج: فلو شكوتموه إلى أمير المؤمنين؟ فقال

---

(٣١) Tzvetan Todorov: Les catégories du récit littéraire, in *Communications*, n:8, coll.Point, 1966, Éditions du Seuil, 1981, p133.

الأعرابي: هو أظلم منه وأغشم، عليه لعنة الله! قال: فبينا هو كذلك إذ أحاطت به جنوده، فأومأ إلى الأعرابي فأُخذ وحُمل، فلمّا صار معهم قال: من هذا؟ قالوا: الأمير الحجّاج، فعلم أنّه قد أحيط به، فحرّك دابّته حتى صار بالقرب منه، فناداه: أيّها الأمير: قال: ما تشاء يا أعرابي؟ قال: أحبّ أن يكون السرّ الذي بيني وبينك مكتوماً؛ فضحك الحجّاج وخلّى سبيله".[٣٢]

ففي النوادر عموما وفي هذه النادرة خصوصا تَرد الأحداث متتالية، تحكمها علاقةٌ سببيّة ناهضة بتحقيق رغبة الضّحك وإمتاع المتلقّي. فخروج الحجّاج أدّى إلى وقوفه على الأعرابي، ونجم عن ذاك الوقوف استخبارٌ وإخبار، فتأزّم وانفراج وتجهّم وانبساط. فالثنائية الناهضة بالسردية هي الفعل وردّ الفعل. ومن ثمّ، فإنّ ما يُميّز البنية الحدثيّة في هذه النادرة هو البساطةُ التي لا تعدو أن تكون في نظر الدّارسين[٣٣] الأقرب إلى طور المشافهة، على عكس البنى المركّبة[٣٤] التي هي الأقرب من طور الكتابة، والتي ستزدهر لاحقا إن في بعض النوادر والأخبار وإن في الحكاية المثليّة والخرافة والمقامة بعد أن احتضنتها الثقافة العالمة.

وإلى ذلك، فنوادر كثيرة تأتي فيها الأحداث محدودة مختزلة، فالشخصيات لا تفعل غالبا بقدر ما تتكلّم وتنصت. ممّا يجعل ملفوظات الفعل ضامرة قياسا إلى ملفوظات الحالة من جهة، ويصيّر النادرةَ كلاما يُراد به الإضحاك والإمتاع من جهة أخرى. والشواهد على ذلك قد تنأى عن الإحصاء. نقتصر منها على بعض نوادر المتنبئين التي يُوردها الحصري على هذا النّحو: "ادّعى رجل النبوّة في أيام

---

(٣٢) الحصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، مصدر مذكور، ص١٨.

(٣٣) محمد القاضي، الخبر في الأدب العربي: دراسة في السرديّة العربيّة، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس؛ ودار الغرب الإسلامي، بيروت،١٩٩٨، ص٣٦٤.

(٣٤) من البُنى المركّبة التضمين والنظم والتناوب وغيرها.

المأمون، فأحضره المأمون وقال له: ما دليل نبوّتك؟ قال: أنْ أعلم ما انعقد عليه ضميرك. فقال: ما هو؟ قال: في نفسك أصلحك الله أنّي كاذب، فضحك منه وتركه.

وأتى المعتصم برجل ادّعى النبوّة. فقال: ما آيتك؟ قال: آية موسى. قال: فألق عصاك تكن ثعباناً مُبيناً؟ قال: حتى تقول: أنا ربّكم الأعلى.

وادّعى آخر النبوّة بالكوفة، فأُدخل على واليها. فقال: ما صناعتك؟ قال: حائك، قال: نبيّ حائك؟! قال: فأردت نبياً صيرفياً؟ الله يعلم حيث يجعل رسالته".[٣٥]

فهذا الضرب من النوادر يتّسم بكونه علاوة على بساطة بنيته المحكومة بوظيفة المواجهة وبثنائية الفعل ورد الفعل أو الامتحان والنجاح هو حكاية أقوال يتكرّر فيها فعل قال الذي هو بمثابة الخيط الناظم للمقاطع الفرعية المحدودة.

وإجمالا، فلهذه البساطة صلةٌ بالإيجاز الذي هو شرط من شروط النادرة وخصيصة شفوية لا يُستهان بها، ذلك أنّ الإطالة والتركيب والتعقيد جميعها سماتٌ كتابية تنفر منها النادرة. وقد أكّد التوحيدي ذلك على لسان أبي فرعون مطل بن حرب التميمي حين قال:" ملح النوادر في لحنها. وحرارتها في حسن مقطعها. وحلاوتها في قصر متنها"[٣٦]. فإن كان هذا هو الشأن في أثر المشافهة في الأعمال فماذا عن أثرها في الفواعل؟

(٣٥) الحصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، مصدر مذكور، ص١٦١.

(٣٦) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، تحقيق أحمد أمين والسيد أحمد صقر، مطبع ـة لجن ـة الت ـأليف والترجمة والنشر، ط:١، ١٩٥٣، ص١٠٥.

٢- خصائص المشافهة في الفواعل

شخصيات النادرة نمطيّة[٣٧]بسيطة مسطّحة ومرجعيّة، لها أسماءٌ بها تُعرف إنْ في ما يخصّ المُنْدر كأشعب والغاضري وأبي عتيق وأبي دلامة وجميْن وأبي العيناء والبهلول وغيرهم وإنْ في ما يخصّ المنْدر له كالمنصور والحجّاج والمندر عليه كالأعرابي والمنْدر به أي العون المساعد في الإيقاع بالمندر عليه[٣٨].

وتجدر الإشارة أيضا إلى أنّ البرنامج السرديّ الذي تحرص النادرة على تحقيقه إنّما هو برنامج اتصالي غالبا، وقلّما يكون انفصاليا، فيه تُحقّق عادة ذاتُ المُندر موضوعَ رغبتها وهو الجزاء بمساعد هو الإضحاك. وهذا البرنامج ما هو إلا تصوّر مجرّد، حسب غريماس[٣٩]، قارّ بسيط وهو ببساطته وتجريده أقرب ما يكون إلى الرّواية الشفويّة والحكاية الشعبية منه إلى الكتابة.

وإذا كانت هذه علامات المشافهة في أعمال النادرة وفواعلها فماذا عن علاماتها في المقام الذي تنشأ فيه؟

٣- مقام النادرة

للنادرة مقامٌ مخصوص فيه تُروى وتُسمع وغالبا ما يكون المدينة[٤٠]حيث الأنسُ والترف والاجتماع[٤١]فهي تنبذ الوحشة والخلاء، وتنفر من حياة البادية، حتّى إنّها

---

(٣٧) نقصد بالنمطيّة أنّها تؤدّي وظائف ثابتة من قبيل البخيل والمتطفّل والأحمق والمجنون وغيرها تت وزّع إن على المندر وإن على المندر له. وتعتبر الشخصيات النمطيّة سبيلا إلى تنشيط الذاكرة وجعل ها تق اوم النسيان. انظر: والتر ج. أونج، الشفاهيّة والكتابيّة، مرجع مذكور، ص.ص١٤٥ -١٤٦.

(٣٨) انظر: الأصبهاني، الأغاني، مصدر مذكور، ج١٩، ص ص١١٩ -١٢١. فالمندر هو أبان ب ن عثم ان بينما المندر عليه الأعرابي والمندر به أشعب.

(٣٩) Greimas (A.J): Sémantique structurale, Recherche de méthode, (P.U.F), 1986, p198.

(٤٠) قد يكون المقام البادية أيضا فللبدو نوادرهم وموضوعها أحيانا المدنيون. وبالتالي فالمسألة مشروطة بم ن دوّن النادرة. ويكون المدوّن في الأغلب الأعمّ مدنيّا لارتباط الكتابة في الأصل بالحضارة.

لتتّخذ من الأعراب ممّن لا يحفلون بالمزاح موضوعَ تندّر.[٤٢] وإنْ نهضوا بصناعة النوادر أحيانا فإنّ ذلك مردُّه إلى الدسّ عليهم وإلى قانون التدليس. فالنادرة تتخيّر المناطق الآهلة مثل الحجاز والشام والمدن كبغداد والبصرة لتحلّ في القصور والمجالس العامرة. والمجلس، بحكم احتضانه بنية تخاطبية شفويّة تضمّ متكلّما هو المُنْدر وسامعا هو المندر له وكلاما هو النادرة، غدا ميدان مواجهة تجري مشافهةً وارتجالا. ومن ثمّ، صحّ أنّ النادرة تأبى الخروج عن مقام المشافهة وإنْ دوّنها المدوّنون[٤٣] لذلك عُدّ مقام المشافهة من أكثر العناصر المؤثّرة في تصريف القائل لقوله، فاللّفظ لا يدوم دوام الكتابة. وإنّما همّ لافظه أن يرسخ في ذاكرة سامعه.

أمّا زمن أحداثها فهو محدود لا يعدو البُرهة يتحكّم فيه المُنْدر له الذي يزجي أوقاته بتلقّي مادّة ترفيه متنوّعة كالشعر والغناء وغيرهما.

وإذا كنّا أتينا على بعض خصائص المشافهة في مستوى الحكاية فإنّ خصائصها تلك لا تتضّح أكثر إلا متى فحصنا عنها في مستوى الخطاب.

=(٤١) انظر:

. الحصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، مصدر مذكور، ص.ص٤٤ .٤٨.

. مفيدة الزريبي، النادرة في مؤلّفات النقّاد القدامى: شروط إنتاج النصّ ومقاييس تلقّيه"، شهادة الدراسات المعمّقة، إشراف الأستاذ: حمادي صمود، كلية الآداب بمنوبة، السنة الجامعيّة ١٩٩٤ . ١٩٩٥، (مخطوط)، ص.ص١٩ .٢٢.

(٤٢) الأصبهاني، الأغاني، مصدر مذكور، ج١٩، ص.ص١١٩ .١٢١: يورد أبو الفرج نادرة يضطلع فيها أعرابيّ بدور المتندّر عليه.

(٤٣) مفيدة الزريبي،، النادرة في مؤلّفات النقّاد القدامى، مرجع مذكور، ص٢١.

ثالثاً: خصائص المشافهة في مستوى الخطاب

جَدّ في التّحليل اللّساني اتّجاهان. اعتنى أحدُهما بما هو مكتوب أو مرئي وهو "النّص"، بينما اختصّ الآخر بما هو شفويّ وهو الخطاب. (٤٤)فمُحّض مصطلح "الخطاب" للاتّصال الشّفويّ في حين أُرصد مصطلحُ "النّص" لما هو مسجّل من الخطاب.(٤٥) أمّا في عُرف السرديين فإنّ الخطاب هو الكيفيّة التي بها تُعرض الأحداث في السّرد.فلا حكاية عندهم خارج حدود الخطاب(٤٦). وإنّ وُكْدنا في هذا المستوى من التحليل هو تدبّر أثر المشافهة في النادرة من خلال الإسناد وقاعدتيْ الاسم العلم واللغة والبديهة والارتجال ثمّ من خلال صيغة القصّ (Mode du récit) والصّوت السردي (Voix du récit) وننهي بتناول بعض الأجناس الأدبية ذات الأصول الشفاهية كالشعر في النادرة.

١- الإسناد في النادرة

لا يُعدّ الإسناد ضروريا في النادرة، فوجودُه إنّما هو استثناءٌ، لكنّه في صورة حضوره يضطلع كما في الأحاديث والأخبار بإثبات شفويّة الرواية زمن الكتابة وبتوثيق المتن اعتمادا على عبارات أداء بسيطة تنتمي إلى السماع أي إلى المشافهة من قبيل

---

(٤٤) انظر حول مسألة خصوصيات الخطاب الشفوي والخطاب المكتوب في اللغة:

. خليفة الميساوي، الوصائل في تحليل المحادثة: دراسة اجتماعية براغمتية من خلال مدوّنة شفويّة للعربية بتونس، بحث لنيل شهادة الدكتوراه في اللسانيات العامّة، إشراف الأستاذين: محمد جابر وجوزيف ديشي، جامعة ٧ نوفمبر بقرطاج، المعهد العالي للغات بتونس، السنة الجامعية:٢٠٠٦ - ٢٠٠٧، ص.ص٧ - ١٠.

- Dichy J.:«Enonciation écrite et circonstant». in: S. Remi-Giraud et A. Roman, dir, *Autour du circonstant*, Presses Universitaires de Lyon, 1998, pp. 361-382.

-Ibid. « *La pluriglossie de l'arabe* », 1994, pp. 29-33.

(٤٥) Blass R: *Relevance relations in discourse: A study with special reference to Sessile* (1. Ed.), Cambridge: Cambridge University Press, 1990, p10.

(٤٦) Gérard Genette: Figures III, Éd. Du Seuil, Paris, 1972, p.p74-75.

"أخبرني" و"سمعت" و"ذكر" و"روى" و"حكى" و"قال" وهو ما يتجلّى في هذه النادرة " قال نسيم الكاتب: قيل لأشعب: جالست الناس وطلبت العلم، فلو جلست لنا، فجلس. فقالوا حدّثنا، فقال: سمعت عكرمة يقول سمعت ابن عباس يقول: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلم يقول: خلّتان لا تجتمعان في مؤمن، ثمّ سكت. فقالوا ما الخلتان؟ فقال: نسي عكرمة واحدة ونسيت أنا الأخرى"(٤٧). وتنتمي أيضا إلى الوِجادة مثل: "أخبرني" و"وجدت" و"قرأت" الدالّة على التدوين. أما غيابه فيعتبر القاعدة لأنّ الأقوال الأدبية عموما والنادرة خصوصا لا تحتاج إلى إسناد(٤٨)، ومصداق ذلك ما ذكره الحصْري: " الرّواة يختلفون، وهو أدب لا يُخطب أبكارُه بنسب"(٤٩). فهذه النادرة التي سقناها آنفا نُلفيها في "جمع الجواهر في الملح والنوادر" عارية عن الإسناد، مُسندة إلى مجهول وقد تغيّر متنُها على النّحو التالي: " قيل لأشعب الطمّاع: لقد لقيت التابعين وكثيراً من الصحابة، فهل رويْت مع علوّ سنّك حديثاً عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم؟ فقال: نعم، حدّثني عكرمة عن ابن عباس عن النبيّ صلّى الله عليه وسلم قال: خلّتان لا تجتمعان في مؤمن. قيل: وما هما؟ قال: نسيت واحدةً، ونسي عكرمة الأخرى".

ولا يُخفى فيها هُزء المُنْدر أشعب من الإسناد ومحاكاته الساخرة إياه. وتطالعنا في الأغاني والعقد الفريد بمتنيْن مختلفيْن، تتغيّر فيهما الأسماء وملفوظات الفعل وملفوظات الحالة ولا تبقى غيرُ وظيفة الأعمال وهي مُلحة النادرة: "نسي واحدة ونسيت أنا الأخرى". وقد يميل ناقلُ النادرة إلى تلخيصها فتفقد حلاوتها. من ذلك هذه

---

(٤٧) ابن الجوزي، كتاب أخبار الظرّاف والمتماجنين، تحقيق: محمد أنيس مهرات، دار الحكمة،دمشق، ط:١، ١٩٨٧، ص:٩١.

(٤٨) محمد القاضي، الخبر في الأدب العربي، مرجع مذكور، ص.ص٢٨٤ ـ٢٩١.

(٤٩) الحصري، جمع الجواهر، مصدر مذكور، ص١١١.

التي يوردها التّنوخي على هذه الشاكلة: "وللبغداديين نوادر، فيها ذكر للحمار، يتندّرون بها، أذكر منها نادرتيْن: الأولى: نادرة يتندر بها البغداديون على أهل الموصل، والمعروف عن أهل الموصل تعصّبهم لبعضهم، بحيث لا يتسنّى للغريب أن يجد فيها رزقاً، وخلاصتها: أنّ سقّاءً بغدادياً هاجر إلى الموصل، واستقرّ فيها، وأراد أن يمارس فيها مهنته، فاشترى حماراً وقِرْبة، وباشر بحمل الماء من النّهر إلى المدينة، وفي اليوم الأوّل لم يتعامل معه أحدٌ، وكذلك في اليوم الثاني، وجاع السقّاء، وجاع حمارُه، فأخذه في اليوم الثالث، وذهب إلى سوق المدينة، وقال: يا جماعةُ، إنّ حرمانكم إياي من الرزق أمرٌ مفهوم، لأنّي بغدادي، ولكنّ هذا الحمار موصلي، وهو يكاد يموت جوعاً، فإنْ لم ترفِقوا بي، فارفِقوا به"(٥٠).

على أنّ الاستغناء عن الإسناد في النادرة ناجم عن تعارضه مع قانونها الأساسي وهو التدليس، فيتحوّل الإسناد بذلك من كونه مقياس صدق إلى كونه سبيلا إلى الإيهام والتقنّع. وفي هذا السياق نقف على مسألة التدليس في النادرة أو بالأحرى قاعدة الاسم العلم فننظر في صلتها بالمشافهة.

٢- قاعدة الاسم العلم

يستأثر الاسم العلم سواء في الإسناد أو في المتن بأهمية من وجهة شفويّة. فهو سمة امتلاءِ مضامينَ واقتصادِ كلام(٥١)، وهو عنوانُ إيجاز، وبالتالي فرسوخُه في الذاكرة سهلٌ لأنّه يهيّئ أفق انتظار السامع، ويتكفّل بحسن النوادر فعلى حدّ قول الجاحظ: " ليس يتوفّر أبدا حسنُها إلاّ بأن تَعرف أهلَها، وحتّى تتّصل بمستحقّها

---

(٥٠) التنوخي (المحسن)، الفرج بعد الشدّة، تحقيق عبود الشالجي، دار صادر، بيروت،١٩٧٨،ج٢، ص.ص: ٣٣١ . ٣٣٢.

(٥١) عبد الفتاح كيليطو، الكتابة والتناسخ: مفهوم المؤلّف في الثقافة العربية، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، دار التنوير للطباعة والنشر، ط:١، بيروت،١٩٨٥، ص٧٢.

وبمعادنها واللائقين بها، وفي قطع ما بينها وبين عناصرها ومعانيها سقوط نصف الملحة، وذهاب شطر النادرة".[٥٢] لذلك جعله الجاحظ في صناعة النادرة قاعدة أساسية لأنّه يبعث على الضحك والغرابة، وهو إلى ذلك يصيّر النادرة حارّة أو باردة أو فاترة، مثلما يساعد على تمييز النادرة الثخينة من النادرة الشفّافة جرّاء ما يتحلّى به من قدرة على الإحالة ومن طاقة رمزيّة[٥٣]وهو لا يُحيل على مسمّاه في الواقع المرجعيّ التاريخيّ فحسب وإنّما يُحيل على صورة أنموذجيّة[٥٤]مضحكة وهزليّة أيضا، ويكشف النقاب عن أبطال النوادر ورموزهم. فأشعب مثلا هو رمز الطمع والتطفّل، والحجّاج رمز الظلم والاستبداد وأبو جعفر المنصور رمز البخل والجشع، والأعراب رمز المكر والدهاء وهلمّ جرّا بل يدعم الاسم العلم انغراس النادرة إنْ في الأذهان وإنْ في سياقها الاجتماعي الذي انبثقت منه.

وفضلا عن ذلك فله علاقة بأمر آخر وهو الوضع. فالجاحظ يدعو صنّاع النوادر ورواتها إلى أن ينسبوا النادرة إلى أعلام ترسّخت أسماؤهم في الذاكرة الجمعية. يقول: " ولو أنّ رجلاً ألزق نادرة بأبي الحارث جُميْن، والهيثم بن مُطهّر، وبمزْيد، وابن الأحْمر، ثم كانت باردة، لجرت على أحسن ما يكون. ولو ولّد نادرة حارّة في نفسها، مليحة في معناها، ثم أضافها إلى صالح بن حُنيْن، وإلى ابن النوّاء، وإلى بعض البغضاء، لعادت باردة، ولصارت فاترة، فإنّ الفاتر شرّ من البارد".

---

(٥٢) الجاحظ، البخلاء، مصدر مذكور، ج:١، ص٣١.

(٥٣) Georges Kleiber: *Problèmes de références: Descriptions définies et noms propres*, Paris, Klincksieck, 1981, p51.

(٥٤) عادل خضر، صناعة النادرة: بحث في بلاغة الهزل، ضمن ندوة" مشكل الجنس الأدبي في الأدب العربي القديم، منشورات كلية الآداب، منوبة،١٩٩٤، ص٢٥٠.

نستدلّ على الوضع أو التدليس بهذه النادرة التي يوردها الحصريّ: " كما حكى الجاحظ عن الشرقي بن القطامي أنّ ابن أبي عتيق لقي عائشة رضي الله عنها على بغلة. فقال: إلى أين يا أماه؟ فقالت له: أُصلِح بين حيّين تقاتلا، فقال: عزمت عليك إلاّ ما رجعت، فما غسلنا أيدينا من يوم الجمل حتى نرجع إلى يوم البغلة"(٥٥). ويختمها منبّها على ما فيها من دسّ بقوله: " وهذه حكاية أوردها الشرقيّ لغلّه ودغله على وجه النادرة لتُحفظ ويُضحك منها".(٥٦)

ومن ثمّ تحظى الأسماء بأهمية في بناء النادرة. فهي تنشئ مسافة جمالية بين المنْدر والمنْدر له أي بين المتكلّم والسامع، وتُخرج شخصيات النادرة من المجهول إلى المعلوم، بل إنّ حضورها في النادرة لا يعدُو أن يكون ممحاةً، تمحو الهوامش التي من شأنها أن تُرهق الخطاب(٥٧)وتختزل مادّتها وتصيّرها قابلة للتذكّر والحفظ. فللأسماء في الحضارات الشفاهية سلطان على الأشياء.(٥٨)ولها وظيفة رمزية ناجعة. وهذه الوظيفة الرمزية التي يوفّرها الاسم العلم محفورة في الذاكرة، تأبى أن تُستبدل بما عداها، ذلك أنّ الحافظة الشعبية قد وطّدت الصلة بين الرّمز والاسم بعُرى لا تنفصم. وكلّ تجاسر على بتر العلاقة بينهما إنّما يُولّد لدى السامع مللا ونفورا. على أنّ ما يلفت الانتباه أنّ اسم العلم كثيرا ما يستبدل بصفة أو بعاهة أو بعيب أو بسنّ كما هي الحال في نوادر الأطباء والفقهاء واللغويين والمجانين والمخنثين والبخلاء واللصوص والمجّان والحمقى والنوكى والجهّال والمغفّلين والأكلة والممرورين والموسوسين والصبيان وغيرهم. ولعلّ

---

(٥٥) الحصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، مصدر مذكور، ص٤.

(٥٦) نفسه، الصفحة نفسها.

(٥٧) مفيدة الزريبي، النادرة في مؤلّفات النقّاد القدامى، مرجع مذكور، ص٤٢.

(٥٨) والتر ج. أونج، الشفاهيّة والكتابيّة، مرجع مذكور، ص.ص٩٢ .٩٣

ذلك الاستبدال أن يكون ناجما عن تحوّل النادرة من ممارسة اجتماعية إلى نوع أدبي[٥٩].

وإذا كانت هذه حال خصائص المشافهة في إسناد النادرة فما خصائص المشافهة في متنها؟

٣– قاعدة اللغة

تنصّ قاعدة اللغة على نقل النادرة نقلا لا يُغيّر ألفاظها، ولا يُحوّر عباراتها، ولا يذهب بجرسها، ولا يبخسُ هزلَها. وتنهض هذه القاعدة على شروط ثلاثة[٦٠]:

أولا: التنكّب عن التكنية في مواضع الرفث. فالكناية تفقد النادرة حلاوتها وحرارتها: " فما مرّ به [الكتاب] من هذه النوادر فلا تنظر إليها نظر المنكر فتعرض عنها صفحا وتطوي دونها كَشحا إذا وقعت فيها كلمة قذف أو لفظة سخف [...] وليس في كلّ موضع ـ أعزّك الله ـ تَحسُن الكناياتُ عن لفظ فَحُشَ، ولا بكلّ مكان يجمل الإعراض عن معنى وَحُشَ [...] ولو كنت هنا إنّما آتى بما فيه ركانة وأصالة، دون ما فيه سخافة ورذالة، لزال عن المُلح اسمها، وارتفع عنها وسْمُها، وخرجت عن حدودها، وأُفلتت من قيودها".[٦١]

ثانيا: تجنّب الإعراب في مواضع اللّحن: " وكذلك اللّحن إذا مرّ بك في حديث من النوادر فلا يذهبنّ عليك أنّا تعمّدناه وأردنا منك أن تتعمّده لأنّ الإعراب ربّما سَلب بعض الحديث حُسنَه وشاطرَ النادرة حلاوتها(...) ألا ترى أنّ هذه الألفاظَ لو

(٥٩) نشير إلى أنّ صاحب هذه الفكرة هو د. محمد القاضي. فقد كان عقّب بها على ما ذهبنا إليه في ما يخصّ اسم العلم.

(٦٠) انظر تفصيله لدى عادل خضر، صناعة النادرة: بحث في بلاغة الهزل، مرجع مذكور، ص.ص٢٥١ ـ٢٥٣.

(٦١) الحصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، مصدر مذكور، ص.ص٦٣ ـ٦٦.

وُفِّيتَ بالإعراب والهمز حقوقَها لذهبتْ طلاوتُها ولاستبشعها سامعُها. وكان أحسنُ أحوالها أنْ يُكافِئ لُطفَ معناها ثقلُ ألفاظها"(٦٢).

ثالثا: تحاشي اللحن في مواضع الإعراب: وهذا الشرط يساير في حكمه سابقَه. فالجاحظ يخاطب سامعه مُوصيا إياه إنْ رام قصّ نادرة بما يلي: "ومتى سمعت حفظك الله بنادرة من كلام الأعراب فإياك أن تحكيها إلا مع إعرابها ومخارج ألفاظها فإنّك إن غيّرتها بأن تلحن في إعرابها وأخرجتها مخرج كلام المولّدين والبلديين خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير، وكذلك إذا سمعت بنادرة من نوادر العوام وملحة من ملح الحشوة والطّغام فإياك أن تستعمل فيها الإعراب أو أن تتخيّر لها لفظا حسنا أو تجعل لها من فيك مخرجا سريا فإنّ ذلك يُفسد الإمتاع بها ويُخرجها من صورتها ومن الذي أُريدت له ويُذهب استطابتُهم إياها واستملاحُهم لها. ثم اعلم أنّ أقبح اللّحن لحن أصحاب التقعير والتقعيب والتشديق والتمطيط والجهْورة والتفخيم وأقبح من ذلك لحن الأعاريب النازلين على طرق السابلة وبقرب مجامع الأسواق.(٦٣)

وإنّ ما يُستشفّ من هذه الشواهد جميعها أنّ النادرة تُحكى سماعا. فالسمع أبو الملكات اللّسانية".(٦٤) فهي بالتالي شفاهية خالصة، تُتناقل من فم هذا إلى أذن ذاك. وهي تقوم أساسا على الجرس الصوتي. ويتحقّق جرسها باللّحن وينعدم بالإعراب. فلا بدّ من المحافظة على كيانها الشفوي الذي به صيغت. فلا تجد النادرة حرجا في "استعمال العبارات الساقطة والألفاظ الخسيسة ككثير ألفاظ الشطّار والمُتماجنين وأهل

---

(٦٢) ابن قتيبة، عيون الأخبار، تحقيق أحمد زكي العدوي، دار الكتب المصرية، ١٩٢٥، نسخة مصوّرة في دار الكتاب العربي، بيروت،(د.ت)، ص.ص١٣ -١٤.

(٦٣) الجاحظ، البيان والتبيين،ج:١، مصدر مذكور، ص.ص١٤٥ -١٤٦.

(٦٤) ابن خلدون، المقدّمة، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٩٣، ص٤٧٠.

المهن والعوامّ والنساء والصبيان".[٦٥] فمن رام حكاية نادرة ظريفة وحكمة لطيفة "ألاّ يعربها فتثقل، ولا يُمجْمجها فتجهل، ولا يُمطْمطها فتبرد"[٦٦]. ويضرب الحصري شاهدا يميّز فيه الخطأ من الصواب في رواية النادرة داعيا إلى ضرورة المحافظة على الصيغة الصوتية التي بها نُطقت حروفها. يقول: " ولو أنّ قائلا حكى قول مزْيد المدني، وقد أكل طعاما فأثقله. فقيل له: تقيّأه يذهب ما بك. فقال: خبز نقي، ولحم جدي، والله لو وجدته قيا لأكلته. فلو أعطاه حقّه من الإعراب فقال: خبز نقي ولحم جَدْي، والله لو وجدته قيئًا لأكلته، لخرج عن حدّه، وأفلج من برده.[٦٧]

ويتّضح من ثمّ أنّ النادرة كلام منتظم صوتيا، يُنطَق نطقا مخصوصا يفرضه الإمتاع والمُشاكلة[٦٨]، فلا يجوز تحويرُه لا بالزيادة ولا بالنقصان لأنّ في الصيغة التي بها لُفظ سرّ التعجيب والإضحاك. نستدلّ على ذلك بهذه النادرة التي يسوقها الحصْري أيضا يقول: "وقام أعرابي يصلّي وخلفه قومٌ جلوسٌ، فقال: الله أكبر! أفْلحَ من هبّ إلى صلاتهْ، وأخرجَ الواجبَ من زكاتِهْ، وأطعمَ المسكين منْ نخلاتِهْ، وحافظ على

---

(٦٥) حازم القرطاجنّي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء،، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس،١٩٦٦، ص٣٣٢.

(٦٦) الحصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، مصدر مذكور، ص١٠.

(٦٧) نفسه، الصفحة نفسها.

(٦٨) المشاكلة (Vraisemblance) لغةً هي الموافقة، واصطلاحا " أن يبدو الكلام مقبولا مُقنعا وأنْ يتزيّا بزيّ الحقيقة." انظر: القاضي، الخبر في الأدب العربي، نفسه، هامش ص٢٠٩. فـ "سخيف الألفاظ مشاكل لسخيف المعاني. وقد يُحتاج إلى السّخيف في بعض المواضع، وربّما أمتع بأكثرَ من إمتاع الجزْل الفخم من الألفاظ، والشريف الكريم من المعاني. كما أنّ النادرة الباردة جدّا قد تكون أطيب من النادرة الحارة جدّا." انظر: الجاحظ، البيان والتبيين، نفسه، ج:١، ص١٤٥.

بعيره وشاتِهْ ؛ فضحك القوم. فقال : أَمنْ هيْنمتي ضحكْتم؟ أشهدُ عند الله على عمّتي أنّها سمعت ذلك مِنْ فيٍ مُسيلمة."(٦٩)

ولّما كان الفكر في الثقافة الشفاهية يستند إلى أنماط حافزة للتذكّر من قبيل الإيقاع والسجع والجناس والتناسب بين الفِقَر والعبارات الجاهزة المستخدمة بمهارة صوتية(٧٠)فقد اعتنى القدامى بالصّيغة الصوتية في صناعة النادرة وروايتها. فالكلمات في النادرة لا تعدو أن تكون أصواتا صيغت على نحو قابل للحفظ والترديد. ففي المجتمعات الشّفاهيّة" لا يَعرف المرءُ سوى ما يُمكنه تذكّره(٧١). ولكي نزيد دور الإيقاع في التذكّر بيانا نورد نادرة صيغت بسجع وتناسب فقَر وازدواج، يقول الماوردي : " حكى الزبير بن بكار عن الكندي أنّ القشيري وقف على شيخ من الأعراب فقال ممّن أنت؟ فقال من عُقيْل. قال : من أيّ عقيْل؟ قال : من بني خفاجة. فقال القشيري(رأيت شيخا من بني خفاجة) فقال الأعرابي : ما شأنه؟ قال :(له إذا جنّ الظلام حاجة). فقال الأعرابي : وما هي؟ قال : (كحاجة الدّيك إلى الدجاجة). فاستعبر الأعرابي ضاحكا، وقال : قاتلك الله ما أعرفك بسرائر القوم".(٧٢)

وإذا كان هذا ما يرشح عن قاعدة اللغة من تركيز على الصيغة الصوتية التي بها نطقت النادرة فإنّ لسمات شفاهية أخرى أهمية في صنعها، ومنها البديهة والارتجال.

---

(٦٩) الحصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، مصدر مذكور، ص٢٧٥.

(٧٠) والتر ج. أونج، الشفاهيّة والكتابيّة، مصدر مذكور، ص.ص٩٤ .٩٥.

(٧١) نفسه، ص٩٢.

(٧٢) أبو الحسن علي الماوردي، كتاب أدب الدنيا والدين، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، مصر، ط:١، ١٣٠٩ هـ.، ص٢٠٧.

٤- البديهة والارتجال (أو مقتضى الحال)

الارتجال وجه من وجوه الشفاهية. وقد اشتهر به العرب بصفتهم شعوب مشافهة. وأكّد الجاحظ ذلك بقوله: " وكلّ شيء للعرب فإنّما هو بديهة وارتجال"(٧٣) ولعلّ الارتجال أن يكون في النادرة أدخلَ. فهي وليدةُ اللحظة، وزمنُ تلفّظها قصير، ومرتهن بالمنْدر له صاحب القرار في المجلس. فقد يُكْرَه المندر على تعديل فوريّ لنادرته جرّاء طلب صادر عن المندر له أو استخبار، وقد تُخترع من المقام ذاته دون سابق إعداد أصلا. فيكون السبيل عندئذ التوسّلَ بعفو البديهة والإجابة المرتجلة، "فيلبس المسامر والمنادرُ لكلّ حالة لباسها ويركب لكلّ آلة أفراسها[...] فيضع الهناء مواضع النّقَب، ويعرف كيف يخرج ممّا يدخل فيه، إذا خاف ألاّ يُستحسن ما يأتيه"(٧٤). وآية ذلك ما يرويه الحصري في مؤلّفه: "كما ذُكر عن الفتح بن خاقان أنّه كان مع المتوكّل فرمى المتوكّل عصفورا فأخطأه. فقال: أحسنْت يا أمير المؤمنين! فنظر إليه نِظرة منكَرةً. فقال: إلى الطّائر حتّى سَلِم. فضحِك المتوكّل." (٧٥)أو هذه النادرة التي تتميّز من سابقتها بنجاة المندر من الورطة: " بعث بعض ولد عيسى بن جعفر إلى جماعة من المخنّثين فأتوْه، فجعلوا يلعبون ويرقصون وبقي مخنّث منهم لا يتحرّك. فقال: ما لك؟ قال: لا أُحسن شيئاً. قال: فلم دخلت يابن الفاعلة؟ يا غلام ائتني بسكرجة مملوءة روثاً وأخرى مملوءة جمراً، فأتاه بهما. فقال: والله لتأكلنّ من أحدهما أو لأضربنّك حتى تموت. قال: يا مولاي، دعني أصلّي ركعتين. قال: قمْ فصلّ. فقام يصلّي فأطال. فقال له: يابن الفاعلة. إلى كم تصلّي؟ قد صلّيت أكثر من عشرين ركعة! فقال: يا سيدي، أنا دائب أدعو الله أن يمسخني نعامةً فأقوى على أكل الجمر، أو خنزيراً فأقوى

---

(٧٣) الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر مذكور، ج٣، ص٢٨.

(٧٤) الحصري، جمع الجواهر في الملح والنوادر، مصدر مذكور، ص٩.

(٧٥) نفسه، الصفحة نفسها.

على أكل الخرا، فلم يستجب لي بعد. فدعني أصلّي وأدعو، فلعلّه يُستجاب لي. فضحك منه ووصله(٧٦). فما خصائص الشفاهية في صيغة قصّ النادرة؟

٥- خصائص المشافهة في صيغة القصّ

يكتنف السردُ النادرةَ من حدّيها، به تُفتتح وتُختتم. من ذلك هذه النّادرة التي يرويها الحصري(٧٧)وتنطلق بجملة افتتاح على هذا النّحو: " وخرج الحجّاج مرّة أخرى فلقي رجلاً" وتنتهي بجملة اختتام" فضحك وتركه." وهي لذلك، لا تعدو أن تكون استعادة لحدث شأنها شأن الأخبار عموما(٧٨). فالراوي الأوّلي من خارج الحكاية لسانُ حال المؤلّف هو مَنْ ينقلها، باذلا جهده في التواري، مُفسحا المجال في الحديث إلى المندر والمندر له. فيكون حظّ السرد ضئيلا قياسا إلى الحوار، فيكثر المجمل ممّا يجعل القصّ سريعا زمنيا. فيتنحّى السرد تاركا محلّه للحوار.

أمّا الحوار في النادرة فيرد كثيفا وهو منقول غالبا في الخطاب المباشر فيتناوب المندر والمندر له على الكلام، ويكون الفعل المستخدم عادة هو "قال". من ذلك ما دار في نادرة الرّجل مع الحجّاج من حديث: " فقال[الحجّاج]: كيف سيرة الحجاج فيكم؟ فشتمه أقبح من شتم الأوّل [والأول يعني الأعرابي الذي صادفه الحجّاج في طريقه قبل لقائه بهذا] حتى أغضبه، فقال: أتدري من أنا؟ قال: ومن عسيت أن تكون؟ قال: أنا الحجّاج، قال: أو تدري من أنا؟ قال: ومن أنت؟ قال: أنا مولى بني عامر، أجُنّ في الشهر مرّتين هذه إحداهما". وقلّما يُستعاض عن هذا الخطاب بالخطاب المرويّ (من ذلك نادرة الموصلي صاحب الحمار التي سبق بيانها) خشية أن يُورث النادرة اللَّبْس ويفقدها حرارتها أو برودتها ويصيّرها فاترة. ولا مراء، فالخطابُ المباشرُ ببساطته

---

(٧٦) نفسه، ص٢٤٠.

(٧٧) نفسه، ص١٨.

(٧٨) القاضي، الخبر في الأدب العربي، مصدر مذكور، ص.ص٣٨٨ ٣٩١.

وحياده في نقل أقوال المندر والمندر له شفاهيٌّ بامتياز. وإنّ ما يُلاحظ أيضا أنّ التواتر الأكثر استعمالا في النادرة هو القصّ الإفرادي(٧٩). وذلك ما نجده في سائر النوادر وما يتلاءم ونقل الغريب المضحك فيها والمناقض للتَّكرار، هذا فضلا عن القصّ التكراري(٨٠)الذي نصادفه في الإسناد. أمّا عن ترتيب أحداث النادرة في الخطاب فإنّه في الأغلب الأعمّ ترتيب تصاعدي، يكفل للسامع الفهم والاستيعاب. في حين أنّ التبئير المستخدم هو تبئير صفري يضطلع فيه الراوي بالرؤية ويتميّز من الشخصية بالكفاءة المعرفية إلاّ أنّ النادرة لا تعدم احتضانا للتبئير الداخلي الذي فيه يضطلع الراوي ـ المندر بالرّؤية. فإذا كانت هذه خصائص المشافهة في الصيغة السرديّة فما خصائصها في الصوت؟

٦- خصائص المشافهة في الصوت السردي

يُعنى الصوت بدراسة الضمير والمستوى السرديّ وزمن السرد والعلاقات التي تصل الراوي والمرويّ له بالقصّة المرويّة(٨١). وإنّ ما يلاحظ هو أنّ راوي النادرة عادة ما يكون من خارج الحكاية، لا يشارك في الأحداث. غير أنّ هذا الرّاوي غالبا ما يتنازل للمندر أو المندر له على الكلام. وإنّ هذا الأسلوب السرديّ هو الدّارج في القصّ. وهو شفاهي خالص لارتباط الفكر في الثقافة الشفاهيّة بالتواصل بين متحاوريْن أو أكثر، فوجود مخاطب/ سامع ضروري حتى يحفز تفكير المتكلّم على التركيز ويُعينه على التذكّر.(٨٢)

---

(٧٩) القص الإفرادي هو أن يُروى ما حدث مرة واحدة في الحكاية مرّة واحدة في الخطاب. انظر:
Gérard Genette: Figures III, op. Cit. p:146.

(٨٠) القص التكراري هو أن يُروى ما حدث مرة واحدة في الحكاية مرّات عديدة في الخطاب. نفسه، ص١٤٧.

(٨١) Gérard Genette: Figures III, op. Cit., p227.

(٨٢) والتر ج. أونج، الشفاهيّة والكتابيّة، مرجع مذكور، ص٩٣.

على أنّ زمن سرد النادرة لاحق[٨٣]، أي إنّ راوي النادرة يقصّ الأحداث على المرويّ له بعد حدوثها مُستخدما الفعل الماضي موهما إياه أنّها دارت وغدت من الحقائق التاريخية. وهذا النّمط تقليدي حسب "جونات"، وشفاهي رائج في الأخبار والنّوادر والقصص عامّة[٨٤].

وبهذا نكون استوفينا الخوض في خصائص المشافهة في مستوى خطاب النادرة. ولّما كان الشعر ذا أصول شفاهية فإنّنا ارتأينا التساؤل عن مدى حضوره في النادرة.

٧- الشعر في النادرة

للشّعر صلة متينة بالصّيغة الصوتيّة. فهو وزن قبل أن يكون لفظًا ومعنًى. لذلك تميّز من النثر بالإيقاع والإلقاء، واحتلّ في الثقافة الشفاهية منزلة لا تُضاهَى جرّاء كونه نموذجا للقول الحافز على التذكّر. وما يعنينا في هذا النّطاق هو الفحص عن علاقة النادرة بالشعر.

لا تخلو بعض النوادر من شعر. ولا يحضر الشعر فيها حضورا شكليا، وإنّما ينشأ منه الشاذّ والطريف. والشأن في ذلك هذه النادرة التي دارت بين أحمق من بني

---

(٨٣) السّرد اللاّحق (Narration ultérieure) هو أن يقصّ الرّاوي لاحقا ما كان وقع. انظر:
Gérard Genette: Figures III, op. Cit. p:232.

(٨٤) قد يستشفّ تناقضٌ بين ما ذهبنا إليه من كون النادرة وليدة اللحظة وبين زمن سردها الذي يكون لاحقا غالبا. ولعلّ أن يكون ذلك ناجما عن مفارقة بين النادرة حكايةً تجري أحداثها أحيانا فوريا وارتجالا دون سابق إعداد وبين روايتها بعد أن يكون قد انقضى على وقوعها زمنٌ. فالسنّة السرديّة القصصية تقوم على مُصادرة مُؤدّاها أنّ الكلّ مرويّ له يتلقّى المرويات كابرا عن كابر، فيجمعها ويختزنها فتتناسل لديه ثمّ ينتجها. انظر تفصيله لدى:
علي عبيد، المرويّ له في ضوء الموروث العربي، مجلّة الحياة الثّقافيّة، العدد:٨٩، السّنة:٢٢، نوفمبر١٩٩٧، ص. ص ٧٢ -٧٧.

هاشم وعمر بن أبي ربيعة: " ذُكر أنّ هاشميا قال لعمر بن ربيعة: لولا بُغضُكم لنا يا بني مخزوم ما قلتَ:

بَعِيدَةُ مَهْوى القُرط إمَّا لِنَوْفَل أبُوها وإمّا عبدِ شمسٍ وهاشمِ

فقدّمتَ علينا بني نوفل وبني أميّة، فتوهّمه ابن أبي ربيعة عاقلا، فقال: لا بأس بتقديم المفضول على الفاضل في اللّفظ. قال حسّان بن ثابت:

ومَا زَالَ فِي السَّادَاتِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ مَكَارِمُ صِدْقٍ لاَ تُعَدُّ ومَفْخَرُ

بَهَاليلُ مِنْهُمْ جَعْفَرٌ وابنُ أُمِّهِ عَلِيٌّ وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ الْمُتَخَيَّرُ

وأيضا فالشعر على الميم، فلم يكن في القافية إلاّ ما قلت لك. قال: فأعْجزتْك الحيلةُ؟ قال: وكيف أحتال؟ قال: تقول:

بَعِيدَةُ مَهْوَى الْقُرْطِ إِمَّا لِهَاشِمٍ أَبُوهَا وَإِمَّا عَبْدُ شَمْسٍ وَنَوْفَلُ مِيمِ

فضحك وقال: وهنا لقد عجزت عن هذا".(٨٥)

فقد طغى الشعر على متن هذه النادرة وكان باعثا على الكلام. وقد بدا الأمر في البداية محاورة شعرية عادية إلاّ أنّه سرعان ما خُتم بالمفاجئ والمضحك. وتبعا لذلك، نستخلص أنّ الشعر ييسّر بإيقاعه رسوخ النادرة في الذهن ويسهم بقسط في بلورة مُلحتها وإظهار غريبها.

وقد يؤتى به في خاتمتها سبيلا إلى تلخيص أحداثها لا بل قد تستخدم النادرة لسردنة(٨٦) الشعر. والشاهد على ذلك هذه النادرة التي يرويها الجاحظ: " زعم أصحابنا أنّ أعرابيين ظريفين من شياطين الأعراب حطّمتهما السنة فانحدرا إلى العراق، واسم أحدهما "حيدان". فبينا هما يتماشيان في السوق فإذا فارس قد أوطأ دابته رِجل حيدان،

---

(٨٥) الحصري، ذيل زهر الآداب، ص:٣١٣.

(٨٦) سردنة ترجمة للفظة(narrativisation) وتعني إكساب ما هو غير سردي سمات وخصائص تجعله سردا. انظر: القاضي، الخبر في الأدب العربي، مرجع مذكور، ص٣٧٦.

فقطع إصبعا من أصابعه، فتعلّقا به حتى أخذا منه أرش الأصبع، وكانا جائعين مقرورين، فحين صار المال في أيديهما قصدا لبعض الكرابيج، فابتاعا من الطعام ما اشتهيا. فلمّا أكل صاحب حيدان فشبع أنشأ يقول:

فَلاَ غَرَثٌ فِي النَّاسِ كُرُبُجٌ وَمَا بَقِيَتْ فِي رِجْلِ حَيْدَانَ إِصْبَعُ." (٨٧)

ولعلّ مردّ الانسجام والتكامل بين النادرة والشعر إلى أنّ كليهما شكل تعبيري شفاهي يستند إلى سمات مشتركة كالإيقاع والإيجاز والإلقاء والغرابة والعدول.

وقد يكون سعينا إلى رصد خصائص المشافهة في النادرة منقوصا إن لم نعزّزه بالنّظر في ما آلت إليه تلكم الخصائص عند تدوين النادرة. فهل بقيت على حالها ثابتة أم شهدت تغيّرا فاستبدلت بخصائص الكتابة؟

رابعاً: النادرة والتدوين

لا نروم التوسّع في هذه المسألة(٨٨) خشية أن يؤدي بنا ذلك إلى الخروج عن مبحثنا الأصلي وهو المشافهة في النادرة. لذلك سنقتصر على إبداء بعض الملاحظات.

نتج عن تحوّل النادرة من المشافهة إلى التدوين أن انعدم مقامُ المواجهة وانتفى المندر له شخصا مستمعا من لحم ودم يتحكّم في القول. وانتقلت سلطة التلقي من السامع مفردا وجمعا إلى النصّ. واضمحلّ المندر متلفّظا شفويّا شخصا تاريخيا يراقب ما يجري بانتباه أثناء بثّه نوادره اضمحلال السامع الواقعي الممسك بزمام اللعبة السرديّة وحلّ محلّهما الكاتب والقارئ. وغاب المجلس ـ الجمهور المنصت ليحضر بدله الفرد /القارئ. وفقدت النادرة المشاركة الجماعية. فالضحك مثلا، وهو مُلْحة النادرة، كاد

(٨٧) الجاحظ، البيان والتبيين، مصدر مذكور، ص.ص٥٠ .٥١.

(٨٨) انظر مزيد تفصيل: مفيدة الزريبي، النادرة في مؤلّفات النقّ ـاد القـ ـدامى، مرجـ ـع مـ ـذكور، ص.ص ٧٦ .٩٤.

ينعدم أثناء قراءة النادرة لأنّه لا يكتسب فحواه إلاّ بضحك الآخرين. فقد ذكر ذلك "مسكويْه" في "الهوامل والشوامل" حين سأله التوحيدي عن انتشار الضحك بين المتواجهين انتشار التثاؤب، فقال: قد نرى من يضحك من عجبٍ يراه أو يسمعه أو يخطر على قلبه، ثم ينظر إليه ناظر من بُعد فيضحك لضحكه من غير أن يكون شركه فيما يضحك من أجله. وربّما أربى ضحك الناظر على ضحك الأوّل." [٨٩]ولم يفت الجاحظ ذلك، فقد أشار إليه أيضا في "البخلاء" أثناء مبيته عند محفوظ النقّاش بقوله: " فما ضحكت قطّ كضحكي تلك الليلة[...]، ولكنْ ضحكُ من كان وحده لا يكون على شطر مشاركة الأصحاب". [٩٠]

وفضلا عن ذلك تمّ الاستغناء عن الإسناد وحتّى إنْ وجد في النادرة فإنّما يكون وجودُه استثناءً لا قاعدة ممّا شرّع السبيل إلى الطعن فيه والسخرية منه. هذا علاوة على توفّر ضربيْن من الإسناد: إسناد دالّ على ما هو شفاهيّ من خلال عبارات تحمّل تفيد السّماع، وإسناد حصيلة التدوين معبّر عنه بعبارات الوِجادة. كما استعيض عن الإسناد بالهوامش. واضطلعت تلكم الهوامش بالتفسير ضمانا لمقروئية النصّ. ومن الهوامش المستخدمة العنوان مثل "جمع الجواهر في الملح والنوادر"، والعنوان الفرعيّ، إن وُجد، والمقدّمة والحاشية والعناوين الداخليّة، واسم المؤلّف وكذلك هوامش المتن المتعلّقة بالأعلام من قبيل أبي دلامة وأشعب والبهلول والدلال والغاضري يذكرها أبو الفرج بتفصيل فكأنّها عبارة عن تراجم. من ذلك ما يورده الحصري في ما يتعلّق بأبي دلامة يقول في خاتمة إحدى النوادر: " وكان أبو دلامة شاعرا فصيحا وماجنا مليحا

---

(٨٩) التوحيدي، الهوامل والشوامل، نشره أحمد أمين والسيد أحمد صقر، مصر، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط:١، ١٩٥١، ص٢٤٨.

(٩٠) الجاحظ، البخلاء، مصدر مذكور، ج٢، ص٤٦.

واسمه زَنْد بن الجَوْن الأزدي".[٩١] ولا يتوانى الراوي في بعض النصوص حتى عن مدّ المرويّ له ومن خلاله القارئ بمعلومات خطيرة حول سلوك بعض الخلفاء. من ذلك: " وكان المنصور بخيلا، وإنّما كان أبو دلامة يستنزله بالملح لشدّة بخله، فقد كان يتجاوز الغاية في ذلك."[٩٢]

وتبعا لذلك كلّه انتفى راوي النادرة، ذاك الذي يوصيه الجاحظ إن سمع بنادرة أن يرويها بلحنها وبمخارج حروفها، وحلّ محلّه كاتبٌ يستنسخ النوادر وينتجها من جديد ليقرأها القارئ، ورخّص ذلك في تحريف المتن وإثقاله بهوامش أفقدته خصائص المشافهة التي أبرزنا. فتحوّل من البساطة إلى التعقيد ومن الإيجاز إلى الإطناب ومن الوضوح إلى التكنية ومن الانسيابية إلى الثبات، ومن عدم ملكية الخطاب إلى ملكية النص. فإذا أمكن للسامع أن ينقلب متكلّما يروي النوادر دون أخذ ترخيص من أحد فإنّ النصّ، في التدوين، صار موسوما باسم صاحبه وأصبح القارئ مسيّجا بالنص لا قدرة له على قصّه لأنّه في اللحظة التي يبدأ التفكير في روايته يكون قد قُرئ.

خامساً: خاتمة

يُستخلص ممّا تقدّم أنّ للنّادرة خصائص شفاهية عديدة، منها نهوضُها على السماع والبديهة والارتجال، واعتمادُها على إيجاز اللفظ وكثافة المعنى، وتوسّلها بالعبارة السهلة والتواصل الواضح، وهي لا تقتصر في أدائها على مضمون القول وإنّما تتعدّاه إلى الصيغة الصوتية التي تتحقّق مع اللحن وتنتفي مع الإعراب. وترد في الأغلب عارية عن الإسناد لأنّها لا تستهدف الصّدق بقدر ما تروم إيقاع المتندّر له في

---

(٩١) الحصري، جمع الجواهر، مصدر مذكور، ص١٠٠.

(٩٢) نفسه، ص١٠٢.

حبائل الوهم والغرابة. لذلك شجّع القدامى راوي النادرة على الوضع والتزييف وعلى نسبتها إلى أعلام رسخت أسماؤهم في الذاكرة الجماعيّة. وقد لاحت أنّها متأصّلة في الحضر، لا تنمو إلاّ في مجالس الأنس والإمتاع، وغالبا ما تأتي نثرا لكنّها لا تخلو أحيانا من شعر. تغترف من الواقع في جميع أبعاده وتحرص الحرص كلّه على الإيهام بالوفاء للمرجع. وقد خلصنا أيضا إلى أنّ النادرة بانتقالها من المشافهة إلى التدوين شهدت خصائصها تغييرا أملاه واقع التأليف والكتابة إلاّ أنّ أثر المشافهة بقي عالقا في الأذهان يقاوم الزمن والحدثان.

ورغم حرصنا على استصفاء أثر المشافهة في النادرة انطلاقا من نصّ مدوّن فإنّ منظورنا بقي خاضعا لآليات كتابيّة وإنّ الصعوبة لتزداد في رأينا لا سيما إن تعلّق الأمر بمسألة فنية محض من قبيل خصائص الشفاهية. ولا غرو، فالنادرة تقتضي التمثيل والمشاهدة فهي عرض " مسرحي" متكامل يعسر نقله بالقلم واللّسان ولا يُدرك إلاّ بالعيان(٩٣). فللحركة والهيئة والإشارة والموقف أهمية إنْ في نقل النادرة وإنْ في التواصل الإنساني. على أنّ الكلام، مكتوبا كان أو منطوقا، يبقى قاصرا عن الإيفاء بالقصد(٩٤). فهو لا يقول إلا ما هو قابل لأن يقال(٩٥). أمّا الجوهري فيتجاوز الكلام إلى

---

(٩٣) وقد أكّد ذلك الجاحظ تعقيبا على مشهد مُضحك يخصّ أبا جعفر الطَّرسُوسيّ بقوله:" وهذا وشِبْهُهُ إنّما يطيب جدّا إذا رأيت الحكاية بعينك لأنّ الكتاب لا يُصوّر لك كلّ شيء، ولا يأتي لك على كُنهه وعلى حُدوده وحقائقه." الجاحظ، البخلاء، مصدر مذكور، ج:١، ص١٠٨.

(٩٤) يذهب اللسانيون إلى أنّ الإنسان لا يمكنه أن يقول كلّ ما يخطر بباله لأنّ كلامه لا يفصح قطّ عمّا يرغب حقّا في التعبير عنه. فجزء من اللاّقول أو ممّا يفوق طاقة التعبير يبقى مستعصيا على القول. انظر:
Muriel Tenne, Poésie et silence chez quelques poètes contemporains, Thèse de doctorat; Paris, Université de la Sorbonne: 5, Paris III), 1994, p.p:9-14.

(٩٥) ibidem.

الصمت وإلى ما لا يقال[٩٦] (Indicible) . وإذْ أدرك حاليا بعض المحدثين الغربيين هذه الحقيقة[٩٧]فأولوا بلاغة الصمت من العناية ما تستحق[٩٨]فإنّنا بوصفنا باحثين عربا في أمسّ الحاجة إلى تدبّرها أيضا.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

ـ الأصبهاني (أبو الفرج): *الأغاني*، بيروت، طبعة دار الكتب، (د.ت).
ـ التنوخي(المحسن): *الفرج بعد الشدّة*، تحقيق عبود الشالجي، بيروت، دار صادر، ١٩٧٨.
ـ التوحيدي (أبو حيّان): *البصائر والذخائر*، تحقيق أحمد أمين والسيد أحمد صقر، مصر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط: ١، ١٩٥٣.
ـ الجاحظ: *البخلاء*، تحقيق علي الجارم وأحمد العوامري، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨.
ـ الجاحظ: *البيان والتبيين*، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، (د.ت)
ـ الجاحظ: *الرسائل*، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٦٩.

---

(٩٦) للصمت أشباه ونظائر منها المسكوت عنه((Le non dit) والمضمر أو الضمني(L'implicite) واللاّمسمّى (L'innommable) والمستعصي عن الوصف(L'ineffable) وما لا يُقال(L'indicible) وغيرها. انظر مزيد تفصيل:

Annette de la Motte, Au-delà du mot: Une « écriture de silence» dans la littérature française au vingtième siècle, 2004, Münster Lit Verlag. p.p:14-15.

(٩٧) Max Picard, Le monde de silence, P.U.F., 1954, p.p:1-35.

(٩٨) راجع مثلا ما خصّص لمبحث الصمت من دراسات نقدية في هامش:

-Pierre Van Den Heuvel, *Parole, mot, silence: pour une poétique de l'énonciation*, Librairie José Corti, 1985, p:66.

-Annette de la Motte, Au-delà du mot, op. Cit. p.p:5-6.

- ابن الجوزي، *كتاب* أخبار *الظرّاف والمتماجنين*، تحقيق: محمد أنيس مهرات، دمشق، دار الحكمة، ط:١، ، ١٩٨٧.
- الحصري(أبو إسحاق إبراهيم بن علي): جمع *الجواهر في الملح والنوادر*، تحقيق محمد علي البجاوي، مصر، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٣.
- الكلاعي أبو القاسم: *أحكام صنعة الكلام*، تحقيق محمد رضوان داية، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٦.
- ابن خلدون، المقدّمة، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٩٣.
- ابن قتيبة: عيون *الأخبار*، تحقيق أحمد زكي العدوي، دار الكتب المصرية، ١٩٢٥، نسخة مصوّرة في بيروت، دار الكتاب العربي، (د.ت).
- القرطاجنّي (حازم): *منهاج البلغاء وسراج الأدباء*، ، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، تونس، دار الكتب الشرقية، ١٩٦٦.
- ابن منظور (جلال الدين أبو الفضل): *لسان العرب*، بيروت، دار لسان العرب، المجلّد٢، مادة (شفه).

ثانيا: المراجع

١- في العربية

- أونج (والتر. ج): *الشفاهيّة والكتابيّة*، ترجمة حسن البنا عزالدين، مراجعة محمد عصفور، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد: ١٨٢، فيفري١٩٩٤.
- باديس النويري (نور الهدى): *بلاغة المنطوق وبلاغة المكتوب: دراسة في تحوّل الخطاب البلاغي من القرن الثالث هـ إلى القرن الخامس هـ*، أطروحة لنيل

الدكتوراه، إشراف الأستاذ حمادي صمود، جامعة منوبة، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، السنة الجامعيّة ٢٠٠١ـ٢٠٠٢، (مخطوط).
ـ خضر (عادل): *صناعة النادرة: بحث في بلاغة الهزل،* ضمن ندوة" مشكل الجنس الأدبي في الأدب العربي القديم، منّوبة، منشورات كلية الآداب، ١٩٩٤.
ـ دي سوسير (فردينان): *دروس في الألسنية العامّة*، تعريب صالح القرمادي، محمد الشاوش، محمد عجينة، تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٥.
ـ بلاّ (شارل)، *نادرة،* دائرة المعارف الإسلامية.
ـ راي (وليام): *المعنى الأدبيّ: من الظاهراتية إلى التفكيكية،* ترجمة د. يوئيل يوسف عزيز، بغداد، دار المأمون للترجمة والنشر، طبعة أولى، ١٩٨٧.
ـ الزريبي (مفيدة): *النادرة في مؤلّفات النقّاد القدامى: شروط إنتاج النصّ ومقاييس تلقّيه*"، شهادة الدراسات المعمّقة، إشراف الأستاذ: حمادي صمود، كلية الآداب بمنوبة، السنة الجامعيّة ١٩٩٤ـ١٩٩٥، (مخطوط).
ـ عبيد (علي): مادة(نادرة)، *ضمن: معجم السرديات(مؤلّف جماعي)*، تونس، دار محمد علي الحامي ودور نشر عربية أخرى، ٢٠١٠.
ـ عبيد (علي): المرويّ له في ضوء الموروث العربي، مجلّة الحياة الثّقافيّة، العدد: ٨٩، السّنة: ٢٢، نوفمبر١٩٩٧.
ـ القاضي (محمد): *الخبر في الأدب العربي: دراسة في السرديّة العربيّة*، بيروت، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس؛ ودار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨.
ـ كيليطو (عبد الفتاح): *الكتابة والتناسخ: مفهوم المؤلّف في الثقافة العربية*، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، ط: ١، ١٩٨٥.
ـ المجدوب (البشير): *الظرف والظرفاء بالحجاز،* تونس، دار التركي للنشر، ١٩٨٨.

- الميساوي (خليفة): *الوصائل في تحليل المحادثة: دراسة اجتماعية براغمتية من خلال مدوّنة شفويّة للعربية بتونس*، بحث لنيل شهادة الدكتوراه في اللسانيات العامّة، إشراف الأستاذين: محمد جابر وجوزيف ديشي، جامعة ٧ نوفمبر بقرطاج، تونس، المعهد العالي للغات السنة الجامعية: ٢٠٠٦ -٢٠٠٧.
- هاينز (شلافر): *في العلاقة بين الشفوي والمكتوب*، مجلّة فكر وفن، ع٤٦ سنة١٩٨٨.

٢- في الأجنبية

- Blass R: Relevance relations in discourse: A study with special reference to Sessile (1. Ed.), Cambridge: Cambridge University Press, 1990.
- Body Jacques: *De l'oralité à l'écriture*, Actes de ixième congrès de l'association internationale de littérature comparée, Paris, 1983.
- Chemin Arlette: *De l'oralité à l'écriture, continuité ou rupture: l'exemple des littératures d'Afrique,* in: Graines de parole: puissance du verbe et traditions orales, écrits pour Geneviève, Paris, Calame Griaule, 1989.
-De la Motte Annette: *Au-delà du mot: Une « écriture de silence» dans la littérature française au vingtième siècle*, 2004, Münster Lit Verlag.
- Dichy J.:*« Enonciation écrite et circonstant* ». In: *S. Remi-Giraud et A. Roman, dir, Autour du circonstant*, Lyon, Presses Universitaires de Lyon, 1998.
- Fairclough, N: *Discourse and social change*, (1Ed), Cambridge: Polity- Press, 1992.
- Genette Gérard*: Figures III,* Paris, Éd. Du Seuil, 1972.
- Genette Gérard: *Nouveau discours de récit,* Paris, Éditions du Seuil, 1983.
- Greimas (A.J*): Sémantique structurale, Recherche de méthode,* (P.U.F), 1986.
-Levinson S.C: *Pragmatics*. Cambridge: Cambridge University Press, 1993.
- Kleiber Georges: Problèmes de références: Descriptions définies et noms propres, Paris, Klincksieck, 1981.
- Picard Max: *Le monde du silence,* Paris, P.U.F., 1954.
- Tenne Muriel: *Poésie et silence chez quelques poètes contemporains*, Thèse de doctorat, Université de la Sorbonne: 5, Paris III), Paris, 1994.
- Todorov Tzvetan*: Les catégories du récit littéraire,* Communications, n:8, Paris,, coll. Point, 1966, Éditions du Seuil, 1981.
- Van Den Heuvel Pierre: *Parole, mot, silence: pour une poétique de l'énonciation,* Paris, Librairie José Corti, 1985.
-William A. Graham: *Beyond the Written Word,* Cambridge, 1987.
- Zumthor Paul: *Introduction à la poésie orale,* Paris, Éditions du Seuil, 1983.

Orality in Literary Anecdote

Dr. Ali Ben Habib Abid
Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature
Qassim University, KSA
Ali.abid0@gmail.com

(Received 24/4/1432H; accepted for publication 11/7/1432H)

Abstract. Orality is of a great importance in the Arab civilization which relies heavily on the oral tradition. The oral character of this civilization is better seen in its literary production. We chose to look at the anecdote through the angle of orality. Our interest in the anecdote is not due only to its being an old literary genre which has not received the right attention from the part of researchers. Rather, we would like to revisit the idea which sees the anecdote as ‘the product of the lips' and that it is one of the most oral genres in literary prose.

The present work includes four parts and a conclusion. In the first part, “introduction”, we expose the orality and codification and define literary anecdote. The second part deals with the characteristics of orality in tale. The third part focuses on the characteristics of orality at the discourse level. In the fourth part, we look at the relationship between orality and codification.

In tale, literary anecdote is characterized by a simple structure and is basically a story of utterances produced by typical characters. Its short events usually take place in a city setting. It is the product of the presence of spirit, improvisation, and listening. It is also characterized by concision in expressions and, at the same time, density in meaning. It also invokes the ease of the expression and the clarity of communication. The literal anecdote is not restricted to in its production to the content of the utterance. Instead, it makes use of the sonority of the vowels which are truncated by rhythm or realized through case marking. The anecdote is generally reported with no mention of the source because its purpose is not to target truth, rather it attempts at entangling the listener in a web of illusion and weirdness.

Literary anecdote, on the other hand, requires an actor and a spectator. It is, thus, a theatrical production difficult to report via writing and speaking which can only be achieved through attendance. Movement, as well as allure, gestures, and the situational context are of great importance in transmitting the anecdote and in human communication.

Although this research tries to investigate the role of orality in the literary anecdote by using a written text, our approach could not escape the bias of some writing processes. Our task is made even more difficult when dealing with technical issues related to orality.